القسم الثانى

المبحث السادس

صورة أفريقيا فى الإعلام المصرى(*)

إشكاليات وتساؤلات

---

* أجرت الدراسة: أ.د. عواطف عبد الرحمن – أستاذه الصحافة والإعلام بكلية الإعلام جامعة القاهرة

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة:

لقد شهدت العقود الأخيرة ظهور عدة تيارات ورؤى نقدية عن دور الإعلام والاتصال فى مجتمع المعلومات إذ أصبح يشغل موقعاً مركزياً فى الاستراتيجيات والسياسات التى تستهدف إعادة بناء المجتمعات فضلاً عن أدواره الحاسمة فى تدويل أو عولمة الاقتصاد والثقافة من خلال الإسهام فى تشكيل منظومة العلاقات الدولية سواء على المستوى الرسمى بين الحكومات والأنظمة أو المستوى الحضارى بين الثقافات المختلفة. ولعل اخطر هذه الأدوار ما يقوم به الإعلام فى تشكيل أنماط معينة من السلوك الإنسانى وتهميش أنماط أخرى من خلال لغة الصورة ورموزها وفى إطار هذا السياق تبرز أهمية إلقاء الضوء على الأدوار التى يقوم بها الإعلام المصرى سواء فى تشكيل الصورة الذهنية عن إفريقيا لدى الرأى العام أو تحقيق التواصل الثقافى ودعم التعاون الاجتماعى والسياسى والاقتصادى بين النظامين الإقليميين العربى والإفريقى.

وهناك حقيقة محورية كشفت عنها وأكدتها الدراسات التى أجريت عن اتجاهات الإعلام المصرى ومستوى استجابته وتفاعله مع القارة الإفريقية والتحديات التى تواجه شعوبها مضافاً إليها الخبرة المتراكمة عن المشاركة فى المؤتمرات ومتابعة الأنشطة الأكاديمية والإعلامية التى قامت بها منظمة الوحدة الإفريقية ومجلس التعليم الإعلامى الإفريقى. تشير هذه الحقيقة إلى أن اهتمام الإعلام المصرى بالقارة الأفريقية يتواكب صعوداً وهبوطاً مع اهتمام ومواقف القيادة السياسية الحاكمة إذ يتحدد موقع أفريقيا على أجندة هذه القيادة وصناع القرار التنفيذيين فى مصر فى ضوء الرؤية الاستراتيجية والتحالفات السياسية والمصالح السياسية والمصالح الاقتصادية الإقليمية والدولية – وتفصيلاً لذلك نرصد ما يلى:-

أولاً: لقد تصاعد الاهتمام الإعلامى المصرى فى حقبة الستينيات مصاحباً ومتواكباً مع المد التحررى فى كل أنحاء أفريقيا وعلاقات التضامن الواعى بين زعماء التحرر الوطنى فى هذه المرحلة والذى تجسد فيما عرف بمجموعة الدار البيضاء (عبد الناصر – نكروما – سيكوتورى – موديبوكيتا) عام ١٩٦١ وقد شهدت هذه الحقبة اهتماماً إعلامياً مكثفاً بالشئون الأفريقية تمثل فى الكتابات الصحفية التى شملت

التغطية الإخبارية والتحقيقات والأحاديث الصحفية والتعليقات وكتاب الأعمدة كما اهتمت الصحف المصرية آنذاك بتكوين كوادر متخصصة فى الشئون الأفريقية وبدأت فى تلك الفترة الإذاعات الموجهة إلى أفريقيا فى بث برامجها من القاهرة. وقد لعب الإعلام المصرى دوراً تاريخياً بارزاً فى مساندة حركات التحرر الأفريقية سواء من خلال الإعلام المقروء أى الكتابة عن القضايا السياسية والثقافية الأفريقية أو البرامج الإذاعية الموجهة إلى الشعوب الإفريقية.

ثانيا: شهدت حقبة السبعينيات انحساراً تزايد حتى بلغ ذروته فى الثمانينيات والتسعينيات حتى بتنا لا نجد متخصصين إعلاميين فى الشئون الأفريقية فى معظم الصحف المصرية كما انحصر الاهتمام فى الإعلام المسموع والمرئى بالقضايا الأفريقية فى التغطية الإخبارية لإحداث القارة خصوصاً ما يتعلق بالكوارث والمجاعات ومشاكل الحدود والانقلابات العسكرية وتراجعت الكتابات الجادة والتحليلات العميقة عن قضايا التنمية وسائر القضايا الثقافية والإنسانية فى القارة الأفريقية وذلك باستثناء صحيفة الأهرام التى كان لها السبق فى حقبة الستينيات فى تخصيص قسم للشئون الأفريقية ثم استعادت اهتمامها فى التسعينيات بتعيين مراسلين دائمين لها فى جنوب أفريقيا. وللأسف أغلقت مكتبها فى العام الماضى دون أسباب معلنة.

ثالثاً: اقتصر تراث الاهتمام الإعلامى بافريقيا خلال حقبتى الثمانينات والتسعينيات على تغطية العلاقات الرسمية مثل زيارات الرؤساء والحكام الأفارقة والاتفاقيات الحكومية واجتماعات منظمة الوحدة الأفريقية وتوارت المجالات الأخرى سواء الثقافة والفن أو الإبداعات الأفريقية وقضايا البيئة وحقوق الإنسان الإفريقى عن أنظار الإعلاميين المصريين. ومما يجدر ذكره أن الأحداث الخطيرة التى شهدتها القارة خلال التسعينيات مثل انهيار الصومال ومذابح رواندا وبوروندى لم تلق العناية الإعلامية الواجبة فلم نسمع أو نقرأ عن وجود صحفيين أو إعلاميين مصريين بمواقع الأحداث التى تدخل ضمن الدائرة الإقليمية الأولى للأمن القومى المصرى.

رابعاً: يفتقد الإعلام المصرى وجود كتاب وإعلاميين مهتمين بالثقافات والحضارات الأفريقية ولذلك نادراً ما نجد أى تغطية إعلامية للأنشطة الثقافية والبيئية بالقارة رغم تنوعها وتعددها فقد جاء الاهتمام الإعلامى بالجوانب السياسية على حساب الجوانب الثقافية تماماً.

خامساً: تشير نتائج الدراسات العديدة التى أجريت عن صورة إفريقيا فى الإعلام المصرى إلى تراجع موقع القارة وقضاياها السياسية والاقتصادية على أجندة وأولويات الإعلام المصرى فقد أوضحت هذه الدراسات ضألة حجم الاهتمام الإعلامى سواء ما يتعلق بالتغطية الإخبارية للأحداث الأفريقية أو مواد الرأى ويلاحظ بصفة عامة غلبة الطابع السلبى على المعالجات الإعلامية للقضايا والأحداث التى تقع بالقارة وغياب التحليلات الموثقة بالمعلومات. وإجمالاً يتسم الخطاب الإعلامى المصرى عن الدول الأفريقية بالآنية والظرفية والاقتصار على الأحداث السياسية المتفجرة مثل الحروب والصراعات الأهلية والمجاعات.

وتتم التغطية الإعلامية عبر وكالات الأنباء الغربية والمحطات التليفزيونية العالمية المعروفة بتحيزاتها وعدم موضوعيتها تجاة القارة الأفريقية وشعوبها.

سادساً: كما لوحظ أن بعض الكتابات الصحفية تتسم بروح التعالى وذلك بالحديث عن ريادة الإعلام والثقافة المصرية فى القارة فضلاً عن استخدام بعض النقاد الرياضيين صفات غير لائقة تنم عن الجهل وسوء التقدير وعدم الإلمام بالتاريخ الحضارى والثقافى للقارة الأفريقية مما يثير ردود أفعال عدائية وسلبية لدى الأفارقة وفى السينما والمسلسلات التليفزيونية وفى بعض الأعمال الدرامية القليلة التى اعتمدت على الخلفية الإفريقية لوحظ غلبة الجهل وسوء الفهم والاستخفاف والتركيز على الفقر والأمية لدى الشعوب الأفريقية وتجاهل التراث الثقافى والحضارى الثرى الذى تتميز به المجتمعات الأفريقية.

ولعل أخطر ما يهدد مصداقية وموضوعية الصورة التى يروجها الإعلام المصرى عن أفريقيا يكمن فى اعتماد وسائل الإعلام المصرية المقروءة والمرئية والمسموعة على وكالات الأنباء الغربية وشركات التليفزيون العالمية ويعزى ذلك إلى عدم وجود مراسلين سواء للصحف أو الفضائيات المصرية باستثناء جريدة

الأهرام التى ظلت محتفظة بمكتبها فى جنوب أفريقيا ثم قررت إغلاقه فى الفترة الأخيرة دون أسباب معلنة.

سابعاً: رغم عضوية مصر فى بعض مؤسسات العمل الإعلامى الجماعى على مستوى القارة مثل مجلس الإعلام الأفريقى وإتحاد الإذاعات الأفريقية لوحظ ضألة المردود الثقافى والإعلامى لنشاط المكاتب الإعلامية التى تمثل الهيئة العامة للاستعلامات إذا نادراً ما كنا نجنى ثمار الجهد المفترض أن تقوم به لتصحيح صورة إفريقيا لدى المواطن المصرى من خلال تنظيم معارض إعلامية أو ندوات ثقافية مشتركة مع الأفارقة.

ومما يجدر ذكره أن الحزب الحاكم شدد فى ورقة (مصر والعالم ٢٠٠٣) على ضرورة أن تحتل أفريقيا أولوية متقدمة فى السياسة المصرية لأنها تمثل العمق الأمنى والاستراتيجى خصوصاً ما يتعلق بدول حوض النيل والقرن الإفريقى وقد تميزت هذه الورقة بدقة التشخيص والتوصيف الواعى للعلاقات المصرية الأفريقية والتحديات التى تواجه هذه العلاقات فى المجالات الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية والثقافية. ومن أبرز التحديات التى أشارت إليها الورقة شيوع العلاقات المغلوطة والمشبوهة المتبادلة على الجانبين المصرى من ناحية والإفريقى من الناحية الأخرى الأمر الذى يدعو إلى إيلاء المزيد من العناية لتصحيح هذه الصورة من خلال تزويد كل من المناهج الدراسية ووسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة بجرعات معلوماتية إضافية وشاملة عن القارة وحضاراتها ونضال شعوبها من أجل النهوض والتحرر.

وإذا كان هذا الاهتمام من جانب الحزب الحاكم قد رفع إيقاع التفاؤل لذى المهتمين بالشئون الأفريقية إلا أن الفيصل النهائى فى هذه القضية المحورية كان ولا يزال يرتهن بضرورة اقتران القول بالفعل واعنى بهذا ضرورة حشد كل الجهود على المستويين السياسى والثقافى لتحقيق التواصل بين مصر وقارتها بصورة جادة.

ولكن من المثير للدهشة أنه وفى الوقت الذى أبدت فيه القيادة السياسية للحزب الحاكم هذا الاهتمام بقضية العلاقات المصرية الأفريقية فوجئنا بأن الرئيس السابق للهيئة العامة للاستعلامات قد قرر إغلاق المكاتب الإعلامية فى كل من كينيا والسنغال وتخفيض مكتب السودان وبذلك لم يبق سوى ثلاثة مكاتب إعلامية فى أفريقيا تشمل

جنوب أفريقيا وأثيوبيا ونيجيريا علاوة على دول الشمال الإفريقى (تونس – الجزائر – المغرب) والتى تدخل ضمن الدائرة العربية. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أصدر وزير الإعلام قراره التاريخى بإلغاء الإذاعات الموجهة إلى أفريقيا.

موقف الرأى العام:

كشفت الدراسات عن الصورة السلبية السائدة لدى الرأى العام المصرى عن أفريقيا والتى نتجت عن الظروف السيئة التى تسيطر على حياة الأفارقة وتتمثل فى عدم الاستقرار السياسى والعوز الاقتصادى والتدهور الأخلاقى والبؤس الإنسانى ويعزى ذلك إلى أن معظم قطاعات الرأى العام المصرى يستقون آراءهم وانطباعاتهم عن أفريقيا من خلال وسائل الإعلام والتى تعتمد على المصادر الغربية المعروفة بتحيزها ضد أفريقيا أما النخب المثقفة التى تتيح لها ظروفها ومواقعها الوظيفية إمكانية التعرف على الصورة الحقيقية لأفريقيا فهى أيضاً لا تهتم إلا بالإطار العام الذى يتمحور حول الأوضاع السياسية ويتجاهل الجوانب الأخرى التى لا تخلو من إيجابيات كثيرة فى الثقافة والفلسفة والفن والشعر ومنظومة القيم الاجتماعية والأدب والبحث العلمى. هنا أود أن أشير إلى أن صورة مصر والمواطن المصرى فى الإعلام الأفريقى أفضل كثيراً من صورة أفريقيا فى الإعلام المصرى وذلك استناداً إلى الدور الرائد الذى قامت به مصر فى مساندة حركات التحرر الأفريقية خلال الحقبة الناصرية فضلاً عن اهتمام العديد من الدول الأفريقية بالحضارة المصرية القديمة والإنجازات المعاصرة فى مجال العلم والثقافة المصرية ويرنو معظم الشباب الإفريقى سواء فى مناطق الانجلوفون أو الفرانكوفون إلى زيارة مصر والتعرف على منجزاتها الحضارية وشعبها المتميز والاقتراب من علمائها والتفاعل مع مفكريها ومبدعيها وتؤكد ذلك بعض الدراسات القليلة التى أجريت عن صورة مصر فى الإعلام الأفريقى والتى تناولت الإعلام الفرانكفونى فى الكاميرون والسنغال والإعلام الأفريقى الناطق بالإنجليزية فى كينيا وزيمبابوي ونيجريا وجنوب أفريقيا وناميبيا.

وفى النهاية نخلص إلى التأكيد على ضرورة إعداد استراتيجية مصرية تشمل السياسات والخطط والبرامج التنفيذية للتفاعل والتواصل مع الدول الأفريقية وأعنى بذلك الاهتمام بتعيين مراسلين للصحف والإعلام المرئى "والمسموع وتطوير أداء

المكاتب الإعلامية والثقافية ومضاعفة إعدادها بحيث يشعر الرأى العام المصرى والإفريقى بمردود إيجابى للجهد الوظيفى الذى تقوم به هذه المكاتب وهنا نشير إلى ضرورة الاهتمام بتثقيف وتأهيل الكوادر الدبلوماسية والإعلامية والثقافية العاملة فى أفريقيا فضلاً عن أهمية تشجيع الجمعيات الأهلية التى تعمل فى مجال حقوق الإنسان والمرأة والشباب على مد جسور التواصل إلى الجمعيات المماثلة المنتشرة فى القارة وهنا لا يمكن إغفال الدور الذى قامت به الجمعية الأفريقية التى قامت بدور تاريخى فذ فى مساندة استقلال معظم الدول الافريقية ولا تزال تواصل دورها التنويرى فى نشر الوعى بالقضايا الإفريقية.

obeikandl.com